مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
العدد التسلسلي:22 / المجلد11 / العدد: 02 (2025)، ص 86- 105

أنطولوجيا ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي: نحو فهم تاريخي لسوسيولوجيا الثورة

Ontology of the Kharijite Revolutions in the Islamic Maghreb during the Governorate Era: Toward a Historical Reading of the Sociology of Revolution

د. سمير مزرعي [1*]
[1] جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان (الجزائر)، samir.mezerai@univ-tlemcen.dz
ORCID iD[1]: 0009-0000-1670-0640

تاريخ الاستلام: 2025/09/02	تاريخ القبول: 2025/11/26	تاريخ النشر: 2025/12/27

ملخص: يتعبر هذا البحث محاولة لإعادة قراءة السياق التاريخي لثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي من منظور أنطولوجي، يتجاوز في مكنونه القراءة التقليدية التي قدمتها لنا المصادر التاريخية، فالقراءة المتأنية للمعطيات التاريخية المصدرية، قد تفتح بابا جديدا لفهم الواقع التاريخي الذي آل إليه المغرب الإسلامي خلال عصر الولاة، وتخلق فضاء رحبا لمناقشة السياق التاريخي لسوسيولوجيا الثورة التي تبناها المجتمع، بحيث تخلُق إلى الوجود واقعا تاريخيا جديدا تحكمه معادلات وآليات مُستحدثة، نتيجة ظهور حركات خارجية إباضية وصفرية مشرقية الأصل على مسرح الأحداث، وعلى هذا الأساس سيَتخِذُ رد فعل البربر تجاه سياسيات ولاة بني أمية بعدا أنطولوجيا؛ يتجاوز المعطى الديني الظاهري الذي تركز عليه عقيدة تلك الحركات.

كلمات مفتاحية: البربر؛ العرب؛ عصر الولاة؛ المغرب الإسلامي؛ الدولة الأموية.

Abstract: This study seeks to revisit the Kharijite revolts in the Islamic Maghreb through an ontological lens that surpasses the conventional interpretation offered by historical sources. A meticulous examination of primary data may open a new avenue for grasping the historical reality that emerged in the Maghreb under Umayyad governors and may broaden the discussion of the historical setting for the sociology of revolution adopted by Maghrebi society. When Eastern-born Ibadi and Ṣufri Kharijite movements entered the scene, fresh mechanisms of mobilization took shape, new power equations emerged, and a different historical configuration materialized. Berber reactions to Umayyad policy thus acquired an ontological depth that ran beyond the conspicuous religious script of the movements themselves.

Keywords: Berbers; Arabs; Governorate Era; Islamic Maghreb; Umayyad State.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يطلق مصطلح عصر الولاة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس؛ على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد عبد الملك لموسى بن نصير سنة 96هـ/715م، إلى غاية قيام الدولة المستقلة عن السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة بعد ثورات الخوارج كدولة بني مدرار بسجلماسة سنة 140هـ/757م، والدولة الرستمية بتاهرت سنة 161هـ/778م، وإمارة البرغواطيين بتامسنا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري، ويدل هذا الاسم -أي عصر الولاة- على تحقيب زمني استثنائي يعكس صورة وقائع اجتماعي وسياسي معين، عاشه مجتمع المغرب الإسلامي والأندلس بكامل فئاته وعناصره السكانية، فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أميرا يقيم بالقيروان يعرف باسم (الوالي) ويتبع مباشرة للخليفة في دمشق (الزاهد، د.ت، صفحة 63).

لقد ارتبطت ثورات الخوارج تاريخيا بهذه الفترة التي يشوبها الكثير من الغموض، فعلى كثرة المصادر التي عالجت أحداث وحيثيات هذه المرحلة، تبقى الكثير من الحلقات التاريخية المفصلية غير مفهومة وغير مضبوطة معلوماتيا، نتيجة طبيعة الروايات التاريخية التي كانت نوعا ما بعيدة زمنيا وكرونولوجيا عن الإطار الزمني للأحداث التاريخية، وربما أن بعض الروايات التاريخية خضعت لعملية الانتقاء المعلوماتي وتوجيهها توجيها معينا لا يخدم الحقيقة التاريخية، إضافة إلى أن الرواة الذين كلفوا أنفسهم عناء جمع الروايات التاريخية لم يكونوا مؤرخين بالمعنى الذي تحمله دلالة الكلمة، كما أن اختزال بعض الروايات التاريخية وتقديمها تقديما سطحيا، قد يساهم في تعتيم الحقائق التاريخية وتساهم في خلق تلك الهوة فيما يخص جمع وتركيب الأحداث التاريخية وتحليلها بشكل منطقي مفهوم.

ومهما تراءت لنا الكثير من القراءات التي تسوقها لنا المصادر التاريخية حول أنطولوجيا ثورات الخوارج، فإنها بالمقابل تحاول حصر أسبابها ضمن إطار تاريخي ضيق، بحيث تجعل من المعطى الديني الذي أحدثته مبادئ وقيم الحركات الخارجية الإباضية والصفرية أكبر محرك تاريخي لشرعنة وتبرير ثورات الخوارج؛ متناسية عن قصد أو غير قصد

التشظي الذي طال بنية مجتمع بلاد المغرب الإسلامي، وفاعليته مع مجاله الجغرافي نتيجة السياسات المبتكرة والغير المعهودة لولاة بني أمية، ولكن إذا قلنا بأن ثورات الخوارج تجاوزت المعطى الديني، وأن إشكالية المجال كانت عاملا مهما في فهم سوسيولوجيا الثورة، كونه فضاء حيويا يمكن من خلاله لمجتمع بلاد المغرب الإسلامي تحقيق التموضع الذاتي وإعادة تشكيل بنيته فإلى أي مدى يمكن أن يصدق هذا الرأي؟

ولمعالجة هذه الإشكالية يجب علينا أن نجيب على بعض الأسئلة الفرعية التي يمكن من خلالها الإحاطة نسبيا بموضوع دراستنا، ومن بين هذه الأسئلة ما يلي:

1- ماذا نقصد بعص الولاة؟

2- إلى أي مدى أثرت حركات الخوارج "الصفرية والإباضية" في مسار الثورات التي شهدها عصر الولاة؟

3- ما هي الفئات الاجتماعية التي شكلت البنية الاجتماعية لثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي؟

4- هل يمكن اعتبار المجال الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي عاملا بنيويا في تشكيل خريطة الثورة؟ وإلى أي مدى ساهم في إنجاح التموضع الذاتي وتحقيق وجود وكينونة فئات المجتمع المعنية بالثورة؟

5- ما هي أهم الثورات التي قادها زعماء الخوارج ضد ولاة بني أمية؟

إن أهمية الموضوع تفرض علينا موضعته ضمن سياقه التاريخي الصحيح؛ كونه يتصدر مشهدا تاريخيا حساسا في مرحلة

عرفت في أدبيات المصادر التاريخية بـ "عصر الولاة"، إذ أن هذا الاصطلاح قد يُعبر في شيء من الوضوح عن تحقيب زمني مهم، يستدعي منا التعامل مع مختلف الوقائع التاريخية بتحفظ وموضوعية، ويمكن على ضوء المقاربات التاريخية والرؤى التي حاولنا دراساتها دراسة مستفيضة؛ أن نعمق مداركنا حول أنطولوجيا ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، وفهم السياق التاريخي السوسيولجي لردود الأفعال العنيفة التي تتمحور حول

رفض الآخر المتمثل في سلطة ولاة بني أمية؛ والتي باتت تشكل في نظره حاجزا منيعا نحو بلوغ عتبة التموضع الذاتي وتحقيق وجوده وكينونته، ومن هذا المنطلق قد تتأتى الحاجة إلى إعادة قراءة هذا الموضوع ضمن مقاربات متعددة الأبعاد والجوانب، وتكوين صورة نمطية عن بعض الحركات الخارجية وعلاقتها بثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، متجاوزين النظرة التقليدية الكلاسيكية التي تجعل منها شذوذا دينيا محض.

وفيم نحن آخذين في محاولة فهم الواقع التاريخي لثورات الخوارج؛ نجد أنفسنا ملزمين بالاطلاع على النصوص التاريخية التي أمدتنا بها المصادر الإخبارية، مثل كتاب "فتح ومصر والمغرب" لابن عبد الحكم كونه أقدم مصدر يوثق أخبار تلك الثورات، وكتاب "تاريخ إفريقية والمغرب" للرقيق القيرواني، وكتاب "العبر" لابن خلدون، كما أننا حاولنا اقتباس قراءات مستفيضة من بعض الدراسات الأكاديمية مع كثير من التحفظ وإعادة خلق جدل تاريخي علمي، وفي مستهل هذه الدراسات نجد كل من كتاب "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري" لـ محمود إسماعيل عبد الرزاق، وكتاب "فجر الأندلس" لـ حسين مؤنس، ومقال "ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها" لـ بوداود عبيد، إذ مكنتنا هذه الدراسات المعاصرة من تقديم تصور مثالي عن ثورات الخوارج والظروف التي صاحب تسرب الحركات الخارجية الصفرية والإباضية إلى بلاد المغرب الإسلامي.

يستلزم هذا النوع من المواضيع مقاربة منهجية، تستدعي التنويع في المناهج العلمية قصد تشكيل طرح تاريخي موضوعي، فالمنهج التاريخي فرض نفسه بقوة؛ قصد البحث والتنقيب عن النصوص والأدلة التاريخية في المصادر الإخبارية، وجمع المعلومات التي نُطَعِّمُ بها مادتنا العلمية، وتارة نجد أنفسنا ملزمين باستعمال المنهج الاستقرائي والتحليلي، فقد نصادف معطيات تاريخية مبهمة تحتاج إلى تحليل، وجمع خيوط الأحداث التاريخية المتناثرة هنا وهناك بغية إعادة تشكيل طرح تاريخي علمي مقنع، وقد يفرض علينا هذا الجدل العلمي معالجة استقرائية للنصوص وتحليلها وتقصي الحقائق التاريخية ومناقشتها مناقشة علمية.

2. قراءة في سوسيولوجيا ثورات الخوارج

إن عصر الولاة لهو صورة متكلفة بالغة التعقيد إذا ما حاولنا استقراءها استقراء تاريخيا، ولعل القناعة المتأصلة عند بعض المؤرخين؛ والتي مفادها أن مجتمع المغرب الإسلامي ظل يستذكر بين الفينة والأخرى تلك الحادثة المأساوية التي تعرض لها كسيلة في عهد عقبة بن نافع؛ بحيث ظلوا يستحضرون معالم تلك المأساة في أذهانهم كلما استشعروا ملامح إقصائهم وتهميشهم، قد لا تستمد ثبات وسلامة صحتها من مجمل النصوص والأخبار التي زودتنا بها المصادر التاريخية، وليس هنالك ما يثبت قطعا صحة هذا الطرح، ولئن وجدت ثمة إيحاءات تاريخية للتدليل على حقيقة تلك الحادثة العابرة، فإن لعملية فتح الأندلس التي قادها البربر أن تؤسس للحقيقة التاريخية، فلو كانت حقا تلك المأساة -كما يؤرخ لها البعض- قيد الطرح بين جموع البربر، لما تحملوا عبء مهمة الفتح عن طواعية ورغبة منهم، وحسب اعتقادنا فإن تلك الرغبة لم تكن في تلك الفترة منقطعة الرجاء، إذ ما فتئت تزداد وتبلغ الذروة مع توافد فئات مجتمع المغرب الإسلامي من كل حدب وصوب للظفر بشرف الفتح وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

فبعد أن ولت مرحلة الفتوحات الإسلامية، حلت محلها مرحلة زمنية عرفت باسم "عصر الولاة"، حيث أصبحت بلاد المغرب والأندلس ولاية تابعة للخلافة الأموية، يديرها شخص من إفريقية يعرف بـ "الوالي" يُعين من قبل بيت الخلافة في دمشق، وكان والي إفريقية يقوم تعيين الولاة في الأندلس في معظم الأحيان وكانوا تابعين لإدارته، وفي أحيان أخرى كانت تتدخل الخلافة الأموية مباشرة في تعيين هؤلاء الولاة، وبعض الأحيان كان أهل الأندلس يعينون بأنفسهم ولاتهم، وينتظرون الموافقة إما من والي إفريقية أو من دمشق مقر الخلافة الأموية، وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عشرون واليا تولوا حكم المغرب والأندلس لفترة يقدرها المؤرخون 42 سنة (دنون طه، 2004، الصفحات 285-286) (حجي، 1981، صفحة 131).

لقد كانت جل تطلعات سكان المغرب الإسلامي تؤول إلى تحسين وضعياتهم الاجتماعية، إن لم نقل الحفاظ على ما ألفوه زمن فترة الفتح، فالحاجة إلى أساسيات العيش تدفعهم دفعا مستمرا وكلما اقتضت الضرورة إلى اعتبار كل إجراء أو نظام يحدّ من حرياتهم عودة إلى نظام الاستبداد السابق الذي عاشوا تحت ظله قبل فترة الفتح الإسلامي، إن هذا الشعور الصادق والإحساس بالوعي يتولد كلما تسلل قانون جديد إلى كيانهم الجماعي بوصفهم مجتمعا مركبا، ذلك يعني أن عصر الولاة إنما سمي بذلك لإحساسهم بالوصاية التي تنتفي عنها قيمة الأخلاق ومبادئ العدالة، ثم إن هذا النظام غير المألوف الذي سيخيم بظلاله القاتمة على المغرب الإسلامي والأندلس لم يقتصر على البربر فقط، بل إن الصراع أخذ بعدا آخر حتى بين العرب القيسيين واليمنيين أنفسهم، فكان ولاة الدولة الأموية في المغرب والأندلس يتعصبون لأبناء جلدتهم، فمثلا كان العرب الذين استقروا في بلاد المغرب أيام موسى بن نصير من اليمنية وهم غالبية العرب الذين شاركوا في عمليات الفتح الإسلامي، وآزروا موسى بن نصير خلال ولايته، ولما عزل وولي "يزيد بن مسلم" سنة 102هـ طبق سياسة الحجاج العنيفة، فقد خرج إلى العيان وهو يقول: "مالي عذر إن لم أعدل" لأنه كان قيسيا متعصبا لقيسيته وهدفه هو القضاء على نفوذ آل موسى بن نصير (الزاهد، د.ت، صفحة 69).

فأبكر الانطباعات التي تشكلت في أذهان أفراد مجتمع المغرب الإسلامي، قد لا تكون تمثيلا دقيقا للمشاهد التي تصورها لنا كتب التاريخ حول مواقفهم الآنية آنذاك، ولكن قد يتناسب مقدار مصداقيتها مع مقدار شمولية الاستجابة للتحديات الاستثنائية التي واجهتهم، باعتبارها محركا تاريخيا ومحفزا لخلق سلوكيات وردود أفعال معينة قد تُترجم على شكل "ثورات" أو "انتفاضات"، فمفاهيم القوة والاضطهاد والإخضاع بالنسبة إليهم تتولد من رحم السلطة، ففيم هم آخذين بالتفكير المُطّرد في كيفية التعامل مع الظروف والمتغيرات المستحدثة، قد يتملكهم شعور بأن صراعهم الذي خلقوا من أجله بدأ حين ولدت السلطة، وعلى هذا الأساس فإن المقايضة بإخفاء ضعفهم وبؤسهم وشقائهم مقابل منح اعترافهم

بنبل أسيادهم واستقوائهم واستعلائهم عليهم ستكون حتما مبادلة غير أخلاقية؛ تشرعن مبادئ وقيم الهيمنة والتبعية وانكسار الذات وتغييبها.

إن الحالة الاجتماعية لسكان المغرب الإسلامي لَتقفُ عاجزةً أن تبلغ الذروة، فيما هي آخذة بتشكيل كيان مجتمعها منذ أن وطأت أقدام الفاتحين أرضهم، إذ أن موقفهم من الدين الإسلامي في أغلب المواقف لم يكن أقل وضوحا مما هو عليه اليوم، بينما يكون من الطبيعي أن تتسلل أفكار ونحل خارجية إلى بلاد المغرب الإسلامي -كونها أرضا خصبة- تبحث فيها عن مستقر لها، ومن البديهي أن تحتضنه بعض الفئات التي ينتابها الفضول للاحتكاك بثقافة الغير، غير أننا لا نعمم ذلك بوجه حتمي، ونحن نقصد من وراء هذا التلميح إلى أن الحركات الخارجية التي وفدت إلى بلاد المغرب الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري أو بداية القرن الثاني الهجري، بقيادة عكرمة مولى ابن العباس الصفري رفقة الداعية الإباضي سلمة بن سعيد (بوداود ، 2008، صفحة 303) لم تكن بتلك الصورة التي يقدمها لنا عبد الرحمان ابن خلدون من خلال قوله:" ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة من منبعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية " (إبن خلدون ، 2000، صفحة 144).

فدعاة المذاهب الخارجية على ما يبدو لم تُقبل دعوتهم في بداية الأمر (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 196) من قبل أهل إفريقية، وربما يكون النص الذي أورده ابن الأثير دليلا على ذلك حيث يقول: "ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم (دعاة) أهل العراق فاستشاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، (ولا نحمل ذلك عليهم). فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتى نخبرهم..." (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 485).

وغاية ما هنالك أن أسبابا وجيهة أخرى كانت وراء ثورات البربر ضد الدولة الأموية وولاتها في المغرب الإسلامي، تعلق أغلبها بالسياسة الجبائية والضريبية والتفاوت بين

العناصر البربرية والعربية، وأول حادثة يمكنها أن تؤرخ لتلك الثورات هي مقتل والي إفريقية "يزيد بن مسلم" سنة 101هـ أو 102هـ بحيث كان هذا الأخير مولعا بسياسة الحجاج في معاملة المسلمين الجدد: "وكان سبب قتله أنه أراد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فإنه ردهم إلى قراهم، ووضع عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الإسلام، فلما عزم يزيد بن مسلم على ذلك اجتمع رأي أهل إفريقية على قتله، فقتلوه وولّوا عليهم الوالي الذي كان قبله، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكن يزيد بن مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه، وأعدنا عاملك" (النويري ، 2004، الصفحات 238-239).

إننا قد نقتفي أثر ظل لا وجود له؛ إذا ما حاولنا إقناع أنفسنا بأن النحل الخارجية التي رسمت حظوتها بين فئات مجتمع إفريقية؛ هي من أيقظت فيهم حماسة التراب والثورة ضد حكم الولاة، يزول وينقشع أمام أجل مواقفهم التاريخية آنذاك حين أعادوا "محمد بن يزيد" مولى الأنصار عاملا عليهم، ولم يخلعوا عن أنفسهم الطاعة للخليفة. فأبلغ التصورات التي نأخذها كتحليل نفسي لرد أفعال المجتمع وكمبرر تاريخي؛ قد تُترجم في تلك المساومات النرجسية التي تعرض لها البربر، وذلك من خلال محاولة يزيد بن مسلم معاملتهم كما يعامل ملوك الروم حرسهم من خلال وشم أيديهم، وهناك نص صريح للرقيق القيرواني يمكن أن نقدمه كدليل تاريخي يقول فيه: "فقدمها سنة اثنتين ومائة، فمكث أشهرا وحرسه البربر خاصة، ليس فيهم أحد من البرانس، فقام يزيد بن أبي مسلم خطيبا على المنبر، فقال: " أيها الناس، إني قد رأيت أن أسم حرسي في أيديهم، كما تفعل ملوك الروم بحرسها، فأسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره (حرسي) ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم، فإذا دفعوا إلى أحد أسرع فيما أمرته به، فلما سمع ذلك حرسه اتفقوا عليه، وغضبوا وقالوا (جعلنا بمزلة النصارى)، ودبّ بعضهم إلى بعض وتعاقدوا على قتله، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه" (الرقيق القيرواني، 1994، صفحة 62).

وفي سياق متصل، يمكن أن نستشعر تذمر البربر من سياسة الولاة الأمويين في بلاد المغرب الإسلامي في الشكوى التي قدمها وفد من البربر بزعامة ميسرة المطغري للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعد أن منعوا من رؤيته من قبل الأبرش معبرين فيه عن سخطهم بقولهم: "أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم ويقول: "هذا أخلص لجهادكم"، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ويقول: "هذا ازدياد في الأجر ومثلنا كفى إخوانه، ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقّرون بطونها عن سخالها ويطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟" (ابن الأثير ع.، 1987، الصفحات 485-486) ونتيجة لهذه التجاوزات اقتنع أهل إفريقية بدعوة الخوارج واحتضنوا أفكارهم التي تجعل من العرب والأمويين مغتصبين للحكم بداية من عثمان بن عفان، وأن الخروج عليهم حق وواجب لأنهم سلبوا أرضهم وممتلكاتهم ونساءهم، وأن من حق كل بربري تولي منصب الخلافة (بن عميرة، 1984، صفحة 66).

ليس هناك ما يثبت قطعا فرضية أن العرب اليمنين قد شاركوا بطريقة أو بأخرى في كسر شوكة الولاة في بلاد المغرب عموما وإفريقية على وجه الخصوص، غير أنه ما يمكننا أن نفهمه من خلال النصوص التاريخية التي تورد عبارة: "واجتمع أهل إفريقية" قد يعطي لتلك الفرضية دعما وسندا تاريخيا قويا، إذ أن إفريقية بما فيها القيروان كانت تشهد تعايشا منقطع النظير بين مختلف الفئات الاجتماعية من بربر وعرب وأفارقة وذميين وغيرهم، فالمعطيات التاريخية التي بين أيدينا تشير إلى أن الفئة الاجتماعية التي تعرف بـ "الأفارقة"؛ كان لها وزنها الاستثنائي في تشكيل العمران البشري لمجتمع المغرب الإسلامي، وإحداث وخلق التوازن في فاعلية بينة المجتمع المستحدث ومجاله الجغرافي آنذاك، فكان غالبتهم من الأجانب الذي استوطنوا في أحواز إفريقية وما جاورها، بحيث كانوا يستقرون في المدن والأمصار الساحلية (مؤنس، 2002، صفحة 209)، ويمكن للعلاقات الحسنة التي تربطهم

بالبيزنطيين أن تغير كثيرا من المعادلات وآليات التواجد والاستقرار، كما كان بإمكانها أن تُحدث تغييرا مفاجئا على مختلف المستويات إذا شعرت بأن وجودها محل تهديد، ولهذا السبب نجدهم أن غالبة الأفارقة تبنوا حيادا إستراتيجيا في صراع العرب الفاتحين ضد البيزنطيين؛ كخطوة أولى لبداية التعايش والاندماج داخل المجتمع المستحدث الذي سيتشكل منه مجتمع بلاد المغرب الإسلامي، ولكن على ما يبدوا، لم تحسن سلطة ولاة بني أمية استغلال الظروف الاجتماعية المتاحة أمامها، فقد كانت عاجزة عن فهم وإدراك واستيعاب ديناميكيات التحول الاجتماعي، وتعقيدات البنية الاجتماعية التي هي بصدد التعامل معها، إذ انها كانت تعتبر الأفارقة موالي وجعلتهم بمزلة الروم والنصارى، فكان هذا باعثا قويا و محركا تاريخيا كسب به ولاة بني أمية عداء فئة الأفارقة ودفعهم ذلك للانضمام إلى ثورة الخوارج كرد فعل، وكتعبير عن تموضع ذاتي يضمن تحقيق بقاء وجودها وكينونتها الجماعية.

كما أن فترة الولاة شهدت تعيين ولاة قيسيين أمثال يزيد بن مسلم وعبيد الله بن الحبحاب، وربما يكون ذلك الصراع القيسي اليمني الذي تعود أصوله إلى موقعة الحرة، قد تجدد وبرز على مسرح الأحداث مجددا مباشرة بعد مقتل يزيد بن مسلم سنة 102هـ، إذ أن الخليفة الأموي في دمشق يزيد بن عبد الملك الذي كان يحمل أحقادا ضد آل موسى بن نصير في بلاد المغرب، بعد أن تراءى له أن لديهم يدا في تحريك مواليهم على الثورة ضد يزيد بن وسلم وقتله، فكلف عامله بشر بن صفوان الكلبي بالاقتصاص من عبد الله بن موسى بن نصير، ومصادرة أمواله ومتابعة مواليه وتعذيبهم (عبد العزيز سالم، 1999، صفحة 213).

3. الخوارج وإشكالية بناء خطاب الثورة...من المشرق إلى بلاد المغرب

في ظل ذلك الكم المتراكم من المعلومات التاريخية حول ثورات الخوارج التي ظهرت في المشرق والمغرب الإسلامي؛ نجد أنفسنا أمام إشكالية حقيقة تحتاج للبحث أكثر في سلسلة مجريات الأحداث وربط بعضها ببعض، ثم إن العجز عن إدراك الأبعاد التاريخية لثورات البربر في بلاد المغرب الإسلامي، قد يخلق لدينا الكثير من الجدل حول ما إذا كانت ذات بعد

سياسي منفصل عن مختلف التيارات الخارجية التي ظهرت في المشرق، أو أنها كانت ثورات جاءت نتيجة توجه فكري وعقائدي مشرقي بحت؟

بالعودة إلى دراسة وتحليل الوقائع والنصوص التاريخية التي أفادتنا بها المصادر التاريخية، تتراءى لنا بعض التفاصيل الدقيقة التي أغفلها معظم الباحثين، فليس من قبيل الصدفة مثلا أن تجتمع حوادث متفرقة وثورات ضد ولاة وعمال الدولة الأموية في المشرق والمغرب في نفس الوقت؛ وإن اختلفت أسبابها وغايتها، فقد ظهرت على مسرح الأحداث "ثورات الخوارج" بقيادة كل من: "شوذب الخارجي" سنة 101هـ/719م في عهد عمر بن عبد العزيز (الطبري ، 1964، الصفحات 555-577) وثورة مسعود بن أبي زينب العبدري سنة 105هـ/723م في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (البلاذري، 1996، الصفحات 353-354)، وثورة "البهلول بن بشر الشيباني" الملقب بـ (كثارة) في منطقة الجزيرة سنة 119هـ/737م في عهد هشام بن عبد الملك (الطبري ، 1965، الصفحات 130-134)، وثورة الخوارج في منطقة الأهواز بزعامة "صحاري بن شبيب بن يزيد الشيباني" سنة 119هـ/737م (الطبري ، 1965، الصفحات 137-138).

إنها لإشكالية بالغة التعقيد؛ إذا ما حاولنا استكشاف واقع تلك الثورات والانتفاضات، مع ذلك الكم الهائل من المعلومات التاريخية المتراصفة في طيات صفحات المصادر التاريخية، غير أن ما شد انتباهنا أكثر في هذا المقام هي ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة 122هـ/739م، إذ نجدها تتزامن مع قيام ثورات البربر في بلاد المغرب الإسلامي، وعلى ما يبدو أن ثورة زيد بن علي كانت ثورة علوية بعيدة عن تأثير التيار الخارجي، وهي في حقيقة الأمر استمرار للثورات العلوية المناهضة لخلفاء بني أمية بعد مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء 61هـ (الطبري ، 1964، صفحة 400) (ناجي ، 1966، الصفحات 98-99)، ومهما حاولنا أن نقنع أنفسنا بأنها كانت ثورة إصلاح ديني عقدي، فإن الظروف التي كان يحياها أهل الكوفة قد تقدم بيانات وتحليلات تعمق فهمنا وتقوي مداركنا بحقيقة تلك الثورات، فنتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، أصبحت الكوفة منذ بداية

أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما قبلة لعدد كبير من الفاتحين والموالي على عكس منطقة الشام وأحوازها.

وقد نجد بأن بدايات الأزمة المادية التي خيمت بظلالها القاتمة على سكان الكوفة، بدأت بوادرها في الظهور والتأزم مع بداية خلافة عثمان بن عفان ﷺ ما بين 23-35هـ/643-655م، إذ أن موارد المالية كانت تقتصر فقط على ما يحصل عليه الفاتحون من مناطق القفقاس، التي لم تكن تستوفي متطلبات السكان عند تقسيم الغنائم والفيء، بينما لا نجد هذا المشكل قد طرح لدى سكان البصرة، الذين كانوا يحصلون على عائداتهم المالية من الثروات المجلوبة من خرسان، كما أن "القُرّاء" شكلوا لأنفسهم قوى وزعامات جديدة استولت على كثير من العقارات والأراضي في سواد العراق، وهي أخصب الأراضي الواقعة على أطراف نهري دجلة والفرات، وكانت هذه الفرقة تعتبر نفسها مالكة لها ملكية تامة (محمد شعبان، 1987، الصفحات 77-78)، وربما هذا ما خلق مع تقادم السنين مشكلا أكثر حدة وأكثر تعقيدا في إمداد ذلك الكم الهائل من السكان الذين استوطنوا الكوفة وأحوازها، وعلى هذا الأسس كان أهل الكوفة وفي مقدمتهم الموالي يرفضون إرسال أموالهم إلى عاصمة الخلافة الأموية في دمشق (ناجي ، 1966، صفحة 105)، ويرفضون رفضا قاطعا طريقة تقسيم الفيء، وأصبح من العسير على الدولة الأموية بسط سلطتها وسيطرتها وتحطيم سلطة زعماء وملاك الأراضي.

نتيجة لهذه الظروف وتلك حظيت ثورة زيد بن علي بدعم شعبوي كبير، كونها تمثل مطلبا شعبيا لمجتمع الكوفة وغيرها، وقد يكون رأي بعض المؤرخين في أن هذه الثورة لقيت دعم ومباركة الإمام أبي حنيفة النعمان، قد يكون تعتيما على الحقيقة التاريخية ومجرد افتراءات قصد إعطائها سندا شرعيا وصبغة دينية عقدية لا غير (ناجي ، 1966، صفحة 108).

وإذا أخذنا في الاعتبار المتغيرات المفاجئة التي طرأت على مسار تاريخ الدولة الأموية - باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز- وما صاحبها من متغيرات مفاجئة؛ سواء بسبب

السياسة المالية التي انتهجها الخلفاء؛ والتي خلقت مبدأ التفاوت بين السلطة الحاكمة وعامة الشعب، أو بسبب احتكارها للسلطة داخل البيت الأموي ما يعرضها لظهور جبهات تطمح لكسر قوة تلك السلطة باعتبارها فاقدة للشرعية، وعلى هذا الأساس فإن "الثورة" بذلك لم تكن ظاهرة تاريخية نتجت عن فعل، بل كانت كرد فعل، وعلى هذا الأساس فإن اتساع رقعة الخلافة الأموية في بلاد المغرب الإسلامي، ودخول غالبية المجتمع إلى الإسلام قلل من موارد بيت مال الخلافة، وهو ما حدث فعلا كذلك في المشرق كما رأينا سابقا، فلم يكن في مقدور ولاة بني أمية سوى انتهاج سياسة الإقصاء وتخميس البربر والتعدي على ممتلكاتهم، وفرض الجزية على عليهم كما كان الحال قبل إسلامهم، والتلاعب في قسمة الغنائم والفيء من أجل تدارك وتعويض نقص المداخيل التي كانت ترد إلى بيت الخلافة في دمشق.

وبتعبير بسيط فإن السلطة قد تمثل لأفراد المجتمع في أبلغ تصور يشد عقولهم، أسلوبا نظاميا يتشارك معظم الأفراد في تشكيله، وذلك النظام في حقيقة الأمر ما هو إلا انعكاس لطبيعة شخصيات متفاوتة من حيث الفاعلية والتأثير، ذلك يعني أن المجتمع والسلطة يشكلان وجهان مختلفان لعملة واحدة، غير أن الوجه الذي يحدد قيمة تلك العملة هو ما يمكنه أن يترك لدينا انطباعا -مستقرا ومنافيا للشك- إيجابيا كان أم سلبيا، من خلال ما يخلفه من طرائق عيش ونظم وفكرية وظواهر اجتماعية تعكس لنا حقيقة علاقة السلطة بالمجتمع، وتنبثق من تلك المخلفات ظواهر آنية أخرى يرى فيها وسائل واستجابات لتحديات تصادفه، وهذه الوسائل لا يمكننا تحديدها أخلاقيا إلا من خلال الغاية المنشودة منها.

ففي كلتا الحالتين أيهما يكون بإمكانه تعليل وفهم طبيعة العمران البشري، قد يصبح بالضرورة مصدر إلهام للآخر في دورة لا متناهية من الترابط والتمازج، فإذا كانت السلطة التي أنتجتها أخطاء الأفراد وقصور رؤاهم ووعيهم التاريخي؛ هي ما خلقت مفهوم "ثورات الخوارج" وما صاحبها من تحولات وتغيرات وتبدلات، فإنها بالمقابل شكلت تحقيبا زمنيا لمرحلة

تاريخية جديدة عُرفت بـ "عصر الولاة"، وقد شهدت هذه الفترة عدة ثورات يمكننا أن نجملها فيما يلي:

1.3 ثورة ميسرة المطغري سنة 122هـ/740م:

لقد أظهر زعماء الصفرية مهارة في اختيار مكان انطلاق ثورتهم، فقد وقع اختيارهم على طنجة الواقعة في المغرب الأقصى البعيدة عن قاعدة إفريقية، مستغلين في ذلك خروج جيش الولاية إلى صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة (بن عميرة، 1984، الصفحات 67-68)، وقد تجمع الصفريون حول "ميسرة "المدغري" (ابن عبد الحكم، 2004، صفحة 246)، وقد عرف كذلك بميسرة السقاء لأنه كان يبيع الماء بسوق القيروان، والروايات تختلف حول أصل ميسرة قائد ثورة الصفريين، فتذهب بعضها إلى أنه من أصل عربي وتنسبه إلى قبيلة الأزد، بينما تصفه مصادر أخرى بـ "مسيرة المطغري" (إبن خلدون ، 2000، صفحة 144) أو شيخ مطغرة أم مقدم قبيلة مطغرة (إبن خلدون ، 2000، صفحة 155) على اعتبار أنه ينمتي إلى قبيلة "مطغرة" البربرية وهو الاحتمال الأكثر مصادقيه، كما اختلفت المصادر حول كنيته، فقيل ميسرة الحقير، أو الحفيد وقيل الفقير، ويخيل إلينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشأنه، أو ربما أخطاء وردت من قبل النساخ في تهجئة اسمه بطريقة صحيحة (محمود إسماعيل، 1985، الصفحات 62-63)،

وعلى ما يبدو، فإن ميسرة لم يكن رجلا عاديا، فقد كانت لديه نظرة مطبوعة بالتفاؤل تجاه نجاح ثورات البربر، فإقامته المبكرة في القيروان وحياة الفقر التي كابدها جعلته يمتلك قراءة استثنائية للواقع الذي كانت تحياه مختلف الفئات الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي، كما أن تمتعه بقسط وافر من الثقافة الدينية جعلته محط اهتمام كثير من القبائل، والاقتناع بأفكاره الثورية الرافضة للواقع التي كانت تحياه مختلف الفئات الاجتماعية تحت وطأة وسلطان ولاة بني أمية، بمجرد انتقاله إلى طنجة (بيضون، 1979، الصفحات 353-354) التي راهنت عليها فرقة الصفرية في إنجاح دعوتها وكسب الأتباع والأنصار، تحول ميسرة المطغري إلى المذهب الصفري، وانظمت إليه بربر مكناسة وبرغواطة

بزعامة صالح بن طريف، كما انضم إليه الأفارقة في طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج وبايعه البربر أماما لهم (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 416) (عبد العزيز سالم، 1999، صفحة 218).

لقد زحف ميسرة ومن معه إلى إقليم طنجة فقتل عاملها عبد الله المرادي وولى مكانه عبد الأعلى جريج الإفريقي "الرومي الأصل" مولى بن موسى بن نصير (ابن عبد الحكم، 2004، صفحة 246)، ثم سار إلى السوس وقتل إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية، ولما سمع عبيد الله بن الحبحاب بثورة ابن ميسرة؛ ولاحتواء الموقف سير إليهم جيشا بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، ولخطورة الأمر استدعى جيش والده حبيب بن أبي عبيدة المرابط بصقلية وعزز به الجيش الأول (عبد العزيز سالم، 1999، الصفحات 220-221) (بوداود ، 2008، صفحة 309) والتقى الجيشان قرب الشلف وآثر جيش حبيب بن أبي عبيدة البقاء هناك ولم يبرحه، فيما التقى جيش خالد بن حبيب مع جيش ميسرة بالقرب من طنجة، غير أن المعركة لم تحسم لأي طرف مما حتم على ميسرة التراجع والانسحاب، لقد أنكر عليه البربر فعلته هذه وسوء سيرته فثاروا عليه وقتلوه وولّو عليهم "خالد بن حيمد الزناتي" (الرقيق القيرواني، 1994، صفحة 67) (ابن الأثير ع.، 1987، الصفحات 416-417)، بيد أن الحقيقة تبقى نسبية وغير مكتملة الوضوح حول الأسباب الحقيقة وراء خروج البربر عن طاعة ميسرة المطغري وأسباب مقتله، إذ أن المصادر لم تقدم لنا نصوصا مفصلة عن ذلك، وما نعرفه حقا هو افتراق أصحابه وقواده بعد مقتله ومنهم مغرور بن طالوت وطريف أبو صالح الذي نزل بتامسنا (بن عميرة، 1984، صفحة 70) (بوداود ، 2008، صفحة 309).

2.3 معركة الأشراف سنة 123هـ/741م:

بعد افتراق أصحاب وقواد ميسرة المطغري الذين كانوا عونا له في توحيد القبائل البربرية تحت إمرته، لم يقلل ذلك الإفتراق من عزيمته زعيمهم الجديد خالد بن حميد الزناتي على إعادة توحيد القبائل من جديد وتنفيد مخططات جديدة وإعلان ثورة أخرى، فراح يرسم خطته العسكرية حيث شغل خالد بن حميد الزناتي بقسم من جيشه جيش

خالد بن حبيب الفهري، بينما فاجأه بقسم آخر من خلف ليعيق اتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند وادي شلف (الرقيق القيرواني، 1994، صفحة 67) (محمود إسماعيل، 1985، صفحة 65) (بن عميرة، 1984، صفحة 71)، وهناك اختلاف في موقعة حدوث العركة غير أن الرأي الأكثر ترجيحا وتداولا بين المؤرخين أنها وقعت بأحواز طنجة، غير أن المتفق عليه أن المعركة سميت بـ "معركة الأشراف" (تعليق1) لشرف وعظم ومكانة من قتل فيها من حماة العرب وفرسانها وأبطالها (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 417) وقتل فيها خالد بن حميد الزناتي، كما أدت هذه المعركة إلى تشجيع جموع البربر الانضمام إلى الثورة وتوسعت دائرة الثورة في بلاد المغرب الإسلامي حتى بلغت أخبارها أهل الأندلس وقاموا بعزل الوالي عليهم عقبة بن الحجاج، ولما وصلت الأخبار إلى هشام بن عبد الملك استدعى عبيد الله بن الحبحاب وعين على ولاية المعرب كلثوم بن عياض القشيري سنة 123هـ/ 741م (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 417).

3.3 معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م:

لقد استهل والي بلاد المغرب الجديد" كلثوم بن عياض القشيري" بالتوجه لقتال خالد بن حميد الزناتي، بحيث سير الخليفة الأموي هشام مع عبد الملك إثنا عشر ألف جندي من الشام، وكتب إلى سائر ولاة المناطق التي يمر بها في طريقه تأمرهم بإمداده بالجيوش على حسب ما تذكر بعض المصادر، وما يمكن أن نلاحظه هو أن بوادر الضعف والإخفاق بدأت تلوح في الأفق، فمن جهة كان جيشه غير متناسق وغير متجانس ومتآلف، إذ كانت عناصره مختلطة من القيسية واليمنية والمتطوعين والأمويين (بن عميرة، 1984، الصفحات 72-73) (محمود إسماعيل، 1985، الصفحات 66-67)، ومن جهة أخرى احتدم الصراع بين كلثوم وقائد جيشه "بلج بن بشر بن صفوان" وبين حبيب بن أبي عبيدة الذي كان موافقا للبربر بتلمسان (تعليق2).

إلتقى الجيشان الأموي مع جيش خالد بن حميد الزناتي بالقرب نب طنجة بمكان يسمى "بقدروة" سنة 124هـ/ 742م على واد نهر سبو، انتهت بهزيمة الجيش الأموي بسبب أخطاء تكتيكية عسكرية بالإضافة إلى التفوق العددي للجيش الصفري حسب ما يذكر صاحب أخبار مجوعة (مجهول، 1989، الصفحات 38-40)، فقتل ثلث الجيش الأموي ومن بينهم كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة، أما بلج فقد تمكن من الفرار بمن بقي من

الجيش نحو طنجة على رأس عشرة آلاف جندي وعادت فلول الجيش المتبقى إلى إفريقية بعشرة آلاف جندي كذلك (محمود إسماعيل، 1985، الصفحات 68-69).

4.3 ثورة عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيد الهواري:

بعد الهزيمة التي حلت بالجيش الأموي في معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م أدرك الخليفة هشام بن عبد الملك أن المسألة تحتاج إلى مدد كبير وإلى قواد أكفاء لمواجهة الخطر الصفري المتنامي؛ الذي بات يشكل عبءً كبيرا ونذير شؤم بخروج المغرب الإسلامي والأندلس عن طاعة الخليفة، لذلك وجه ثلاثين ألف من الجند إلى عامله على مصر "حنظلة بن صفوان" (الرقيق القيرواني، 1994، الصفحات 28-29) (مجهول، 1989، الصفحات 40-41) (بن عميرة، 1984، صفحة 78)، وما يمكن أن نلحظه هو أن شخصيتين برزتا على مسرح الأحداث وشجتهما الانتصارات التي حققتها المعارك الصفرية السابق، وهما عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيد الهواري وقد عملا بالتنسيق معا لاحتلال مدينة القيروان (بوداود ، 2008، صفحة 311).

حاول حنظلة بن صفوان الكلبي مقاتلة كل طرف على حدة، فأسرع إلى لقاء عكاشة الصفري بموضع قرب القيروان يسمى "القرن" ووقعت بينهما معركة انتهت بهزيمة الجيش الصفري، ثم أسرع حنظلة بالدخول إلى القيروان خشية أن يحتلها عبد الواحد بن يزيد الهواري وكون جيشا من أربعين ألف مقاتل بعدما استنفر أهل أفريقية على القتال ووزع عليهم المال والسلاح للدفاع عن مدينتهم، وبعد حروب سجال وقعت بين الجيشين الأموي والصفري في باجة، كانت المعركة الفاصلة في موقع يسمى "الأصنام" كانت فيه الغلبة والانتصار للجيش الأمري بقيادة حنظلة ومقتل عبد الواحد بن يزيد الهواري، وأخذ عكاشة أسيرا بعدما تم القبض عليهم في نواحي إفريقية من قبل البربر المناوئين للجيش الأموي وأتوا به حنظلة فقتله (الرقيق القيرواني، 1994، صفحة 71) (مجهول، 1989، صفحة 41) (عبد العزيز سالم، 1999، الصفحات 227-229) (بن عميرة، 1984، الصفحات 79-80).

كان انتصار حنظلة بن صفوان الكلبي في معركة "القرن والأصنام" تحولا وتحقيبا تاريخا جديدا في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس من السقوط والزوال في يد الصفرية التي ما انفكت تتعاظم، وفي نفس الوقت أعطى دفعة قوية للمذهب السني الذي أصبح المجال مفتوحا أمامه للانتشاري واستقطاب كثير من المريدين والأتباع.

4. خاتمة:

ما يمكن أن نقوله إلى غاية كتابة هذه الأسطر هو أن تلك الثورات في الحقيقة وإن اصطلح عليها بمصطلح ثورات البربر؛ فإن سوسيولوجيا الثورة تثبت عكس ذلك، إذ أن فئات اجتماعية أخرى كان وجودها وتموضعها الذاتي في المجال الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي مرتبطا ارتباطا وثيقا لا تنفصم عراه بنجاح الثورة التي قادها زعماء الخوارج، وكان مرهونا كذلك بالمتغيرات الاستراتيجية التي ستخيم بظلالها على مستقبل بنية المجتمع ومجالها، وكذا بالتبدل المتوقع الذي سيطبع سلطة ولاة بني أمية، وربما أن المعطى الديني المتمثل أساسا في احتضان البربر وغيرهم أفكار الحركات الخارجية ك"الصفرية والإباضية"؛ لم يكن في حقيقة الأمر إلا وسيلة دينية وعقدية، تُكسب تلك الثورات الشرعية الدينية التي تؤطر مبادئ وقيم وأخلاقيات الثورة، إذ لا يمكن لتلك الوسيلة أن تُحدَد أخلاقيا إذا ما تعلق الأمر بإثبات الوجود والحفاظ على تموضعها الذاتي في فضاء جغرافي تراه الموطن الأصلي لها.

مع كل تلك المتغيرات التي أحدثتها ثورات الخوارج، فإنها بالمقابل غيرت كثيرا من ملامح وضروب عيش بنية المجتمع، وقللت من سطلة وسطوة ولاة بني أمية، وكشفت عِقم تلك السياسيات التي طبعت وميزت عصر الولاة، وغيرت بالمقابل الخريطة الاجتماعية والسياسية لمجتمع المغرب الإسلامي، بحيث أصبح المجال مفتوحا لتقويض التبعية للخلافة الأموية والعباسية فيما بعد، إذ أنه مباشرة بعد إخماد هذه الثورات قلت الأفكار الخارجية المتطرفة، وأصبح احتضانها قائما على أسس ومبادئ تتوافق مع مبدأ التعايش، بحيث ظهرت مجوعة من الدويلات المستقلة "سنية وصفرية وإباضية"، غير أن المذهب الصفري سرعان من تلاشى مع انهيار وسقوط دولة بني مدار بسجلماسة، ولم يبق اليوم في هذه المنطقة أثر للأفكار الخارجية الصفرية، بسبب ما كانت تتصف به من أفكار تطرفية وخروج عن الجماعة.

5. التعليقات :

التعليق رقم 1: هناك اختلاف بين المؤرخين حول مكان معركة الأشراف، فابن خلدون يعتقد بأنها قري مدينة الشلف على اعتبار أن ميدان نشاط الخوارج قد انتقل إلى المغرب الأوسط (بلاد قبائل زناتة)، بينما المؤرخين الآخرين جعلوا موقعها بشمال المغرب الأقصى، وربما يكون الخطأ قد وقع في نص ابن خلدون بحيث أخطأ النساخ في كتابة كلمة "سبو" وليس "شلف"؛ (بن عميرة، 1984، صفحة 71).

التعليق رقم 2: كان السبب الأول الخطاب الذي أرسله حبيب بن أبي عبيدة المرابط بتلمسان إلى كلثوم بن عياض القشيري وقائد جيشه بلج بن بشر بن صفوان، إثر شكوى أهل إفريقية من سوء معاملة القائدين الجديدين لهم بحيث "لقياهم بالجفاء والتكبر"، ما اضطر هذين الأخيرين إلى التوجه إلى تلمسان وقام كلثوم بالاستخفاف بحبيب وسبه، والسبب الثاني هو رفض كلثوم وقائد جيشه بلج اقتراح قدمه حبيب بن أبي عبيدة لمواجهة البربر وفق خطة عسكرية بجعل "الرجالة للرجالة والخيل للخيالة"؛ (ابن الأثير ع.، 1987، صفحة 417).

6. قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم ابن القاسم الرقيق القيرواني. (1994). تاريخ إفريقية والمغرب (الإصدار 1). (محمد عزب محمد زينهم، المحرر) القاهرة، مصر: دار الفرحاني للنشر والتوزيع.

2- إبراهيم بيضون. (1979). ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

3- ابن عبد الحكم. (2004). فتوح مصر والمغرب. (علي محمد عمر، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

4- أحمد الزاهد. (د.ت). الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة. المغرب الأقصى: مؤسسة تاوالت تامغناست.

5- أحمد بن عبد الوهاب النويري. (2004). نهاية الأرب في فنون الأدب (الإصدار 1، المجلدات 21-22). (عبد المجيد ترحيني، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

6- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري. (1996). جمل من أنساب الأشراف (بنو عبد شمس) (الإصدار 1، المجلد 8). (سهيل زكار، ورياض زركلي، المحررون) بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

7- جعفر بن أبي محمد الطبري. (1964). تاريخ الرسل والملوك (الإصدار 2، المجلد 6). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة، مصر: دار المعارف.

8- جعفر بن أبي محمد الطبري. (1964). تاريخ الرسل والملوك (المجلد 4). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة، مصر: دار المعارف.

9- جعفر بن أبي محمد الطبري. (1965). تاريخ الرسل والملوك (المجلد 7). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة، مصر: دار المعارف.

10- حسن ناجي. (1966). ثورة زيد بن علي (الإصدار 1). بغداد، العراق: مكتبة النهضة.

11- حسين مؤنس. (2002). فجر الأندلس دراسات في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م) (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار المناهل.

12- عبد الرحمان حجي. (1981). التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار القلم.

13- عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (المجلد 6). (خليل شحادة، وسهيل زكار، المحررون) بيروت، لبنان: دار الفكر.

14- عبد الرزاق محمود إسماعيل. (1985). الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري (الإصدار 2). الدار البيضاء، المملكة المغربية: دار الثقافة.

15- عبد العزيز سالم. (1999). تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.

16- عبد الواحد دنون طه. (2004). الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار المدار الإسلامي.

17- عبيد بوداود. (أفريل, 2008). ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132ه) وتداعياتها، جلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 2(1)، 301-312.

18- عز الدين ابو الحسن ابن الأثير. (1987). الكامل في التاريخ (الإصدار 1، المجلد 4). (يوسف الدقاق، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

19- عز الدين أبو الحسن ابن الأثير. (1987). الكامل في التاريخ (الإصدار 1، المجلد 5). (أبي الفداء عبد اللّه القاضي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

20- عز الدين أبو الحسن ابن الأثير. (1987). الكامل في التاريخ (الإصدار 1، المجلد 2). (أبي الفداء عبد اللّه القاضي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

21- مجهول. (1989). أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم اللّه والحروب الواقعة بها بينهم (الإصدار 2). (إبراهيم الأبياري، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

22- محمد بن عميرة. (1984). دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

23- محمد عبد الحي محمد شعبان. (1987). صدر الإسلام والدولة الأموية 600-750م (132ه). بيروت، لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع.